

المقابر

اليمن وسكانها

- ٢ -

نسب اليمنيين وتفرقتهم

لا خلاف في أن عرب اليمن من بني قحطان ويعدون من العرب العاربة وأكثر قبائل العرب من اليمن كما قال النخعي فمنهم السكون وخولان والأزد ومازن بن الأزد وميدعان بن الأزد ومارد بن سلامان ومنهم آل العنقاء والفراheid وقساحل وبلادس وثهلان وحرحنة وبطلون كثيرة قد دونت في كتب الأنساب حتى ما تسقط قبيلة ولا فخذ ولا رهط ولا بطن وأصل منوك غسان بالشام من عرب اليمن.

قالوا ربما أغار اليمنيون على البلدان فيرجعون إلى بلادهم. واليمن قبائل كثيرة إذا دخلت فيهم قضاة وجذام ولحم وبجينة وختمهم كان أول من ذكر اسمه وعرف قدره سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن ولده كهلان بن سبأ وحير بن سبأ وقضاة من قبائل حير تفرقت بعض هذه القبائل في البلاد فزلت أزد شنوءة أرض الشراة وما حولها في الشام وسارت غسان إلى الشام حتى نزلت بأرض البلقاء وتنصروا وأقاموا

منكين بالشام من قبل صاحب الروم وسار من ولد حوالة بن الهو بن الأزدي إلى الموصل
وقدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس حتى نزل أرض العراق فأنشأ ملكاً بالحيرة.
قال بعض آل أسعد بن منكير (كنيكرب؟) تبع ذاكرة منازل من خرج من اليمن
في سائر جزيرة العرب وغيرها :

وقد فراقنا منا منوك بلادها ... فصاروا بأرض ذات مبدى ومحضر
وقد نزلت منا خزاعة منزلاً ... كريماً لدى البيت العتيق المستر
وفي يثرب منا قبائل إن دعوا ... أتوا سرباً من دارعين وحمر
هم طردوا عنها اليهود فأصبحوا ... على معزل منها بساحة خير
وعسان حيّ فعزهم في سيفهم ... كرام المساعي قد حووا أرض قيصر
وقد نزلت منا قضاة منزلاً ... بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر
وكذب لها ما بين رمنة عاج ... إلى الحرة الرجلاء من أرض تدمر
ولحم فكانت بالعراق منوكها ... وقد طحرت عدنان في كل مطهر
وحنت جذام حيث حنت وشاركت ... هنالك لحناً في العلا والتجبر
وأزد لها البحرين والسيف كنه ... وأرض عمان بعد أرض المشقر
ومنا بأرض العرب جند تعلقوا ... إلى بربر حتى أتوا أرض بربر

هكذا ذكروا تفرق أهل اليمن وأصولهم أما مدينتهم التي جنوها فقد أكد أحد علماء
الأثار أن اليمن مبقت بتدتها بابل ومصر ومنها هاجر أجداد الفراعنة ومنها كان
أجداد البابليين والآشوريين وإلى مصر وبابل وآشور حمل اليمنيون الصناعات والعلوم
والتجارة وتوغل بعضهم حتى استلبط بعض اليمنيين أو الحنيريين هم الذين مدنوا
شواطئ آسيا وأفريقية وأوروبا وقالوا أنهم كانوا أميل إلى التجارة لا إلى الغزو والغارة

ولذلك كان معظم الأذواء يتجرون فإذا كانت لرجل منهم مطامع في السيادة تغلب على البلاد.

والأذواء كثيرون منهم ذو الجناح وذو المنار وذو رعين وذو نواس وذو مجن وذو الكلاع سيف بن ذي يزن وقد استولى الحبشة بعد ذي نواس على اليمن فلم يدعوا رجلاً إلا قتلوه ولا بناء إلا هدموه ورئيسهم أبرهة الأشرم فخرّبوا المدن والخراب من عهدهم بدأ في الغالب ومنك الفرس اليمن إلى عهد الإسلام وكان أراد كسرى أنوشروان على فتحها ابن ذي يزن يستجده ويسعده على السودان وامتدحه بالخبيرية فأعجب كسرى بقصيدته لما ترجمت.

ومن الأذواء عنس ذو جدن كان كما في الأغاني منكاً من ملوك حمير ولقب ذا جدن لحسن صوته والجدن الصوت بنخهم ويقال أنه أول من تغنى باليمن. روى أنهم حفروا حفراً في زمن مروان فوقفوا على أزج له باب فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصاة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه أنا عنس ذو جدن القبل الحنيني مني النيل ولعلوي مني الويل طليت فأدركت وأنا ابن مئة سنة من عري وكانت الوحش تأذن لصوتي وهذا سيفي ذو الكف عندي ودرعي ذات الفروج ورمحي الهزيري وقومي الفجواء وقرني ذات الشر فيها ثلاث مائة حشر من صنعة ذي ثمر أعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني قال الراوي فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده.

ولما سار حسان بن تبيان أسعد أبو كرب بأهل اليمن يريد أن يطالبهم أرض العرب وأرض العجم كما كانت التبابعة قبله تفعل حتى إذا كان ببعض أرض العراق على رواية الطبري كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم

فكنسوا أخاه أن يقتله ليخلفوه عليهم فقتله ومرج أمر حمير عند ذلك تفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الممنكة منهم يقال لحيعة ينوف ذو شنانتر فنكهم وقتل خيارهم وعبث بيوت أهل الممنكة فقال قاتل من حمير يذكر ما ضيعت حمير في أمرها وفرقت جماعتها ونفت من خيارها

تقتل ابنائها وتنفي سراقها ... وتبني بأيديهم لها الذل حمير

تدمر دينها بطيش حلومها ... وما ضيعت من دينها فهو أكثر

كذلك القرون قبل ذاك بظلمها ... وإسرافها تأتي الشرور فتخسر

ثم تمودت حمير وكان بنجران بقايا من أهل دين عيسى عني الإنجيل أهل فضل واستقامة لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن تامر وكان موقع أصل ذلك الين بنجران وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ثم أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيسيون فحنهم عليه فدانوا به قال هشام زرعة ذو نواس فلما تمود سمي يوسف وهو الذي خد الأخدود بنجران وقتل النصاري وكانوا قريباً من عشرين ألفاً اقلت منهم رجل وقدم عني ملك الحبشة فأعلمه ما ركبوا به وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النار بعضه فأنجده برجال كما بعث إلى قيصر أن ينجده بالسفن والأخدود هو المذكور في القرآن قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود فجاء جيش الجاشي ورأسه أرياط فقتل ثلث الين وأحرب ثلث بلادها وبعث إلى الجاشي بثلث سبائهما وقد أحرب مع ما أحرب من أرض الين سنحين وبنون وعندان حصوناً لم يكن في الناس مثلها فقال:

هونك ليس يرد اللمع ما فاتا ... لا هلكي أسفاً في ذكر ماتا

أبعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سنحين يبي الناس أبياتاً

وقد ساق أبو الفرج الأصفهاني كيفية مقتل حسان بن تبع على يد عمرو أخيه وكيف
تشتت أمر حمير حين قتل أشرافها والتفت عليه حتى وثب على عمرو خيعة تنوف ولم
يكن من أهل بيت المسكة فقتله واستولى على منكه وكان يقال له ذو شتر الحميري
وكيف نشأ زرعة ذو نواس وكانت له ذؤابة وبه سمي ذا نواس وهو الذي هود وتسمى
يوسف كما مر وهو صاحب الأخدود بنجران وكانوا نصارى فخوفهم وحرق الإنجيل
وهدم الكنائس ومن أجند غزت الحبشة اليمن لأهم نصارى كما ساق كيفية خروج
سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستجده على الحبشة بسبب غزو ذي نواس أهل نجران
وكانوا نصارى فحصرهم ثم ظفر بهم فحدد لهم الأخاديد وعرضهم على اليهودية
فامتنعوا من ذلك فحرقهم بالنار وحرق الإنجيل وهدم بيعتهم.

ملوك اليمن وعمرهم

قال ابن حوقل: كانت اليمن عظيمة خطيرة الملوك فمنهم من ملك أكثر الأرض في
سالف الزمن كنع الذي مدن مدينة صنعاء وسمرقند وكان يقيم بهذه حولا وهذه آخر
ولم يكن فيما سلف من الزمان ومرر الدهور والأيام من علت كلمته واتسعت مملكته
واستفحلت جبايته كفرعون وذي القرنين وتبع من ثبت الملك فيه وفي عقبه فأما أموالها
في وقتنا (القرن الرابع) الواصلة إلى سلاطينها وملوكها وأربابها وأصحاب أطرافها فمن
جلتها أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زيادة بعد أهل البحرين كانوا بمواليها والذي
تحت يده فمن الشرجة إلى عدن طولا على ساحل البحر وأرض قنامة اليمن ويكون
مقدار ذلك اثني عشرة مرحلة وعرضه من الجبال إلى ساح اليمن من عمل غلافقه
ويكون مقداره مسيرة أربع مراحل وأكثر أمواله المقبوضة من العثور وهي ما ينيف على
خمس مائة دينار عخرية ومن قبالات زبيد من جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشمل عليه

من وجوه الأموال مائتا ألف دينار عثرية وأكثر منوك الجبال يخطبون له على منابرهم في وقتنا هذا ويصل إليه من جباية عدن على المراكب العثرية مما لا يقع بموافقة ولا ضمان ويعمل بالأمانات لربما زادت المراكب ونقصت وقد يرتفع له في السنة عن هذا المكان مائتا ألف دينار عثرية زائداً أو ناقصاً ويؤخذ العنبر بسواحل عدن وما ينيها وله على ذلك ضريبة تصل إليه على صاحب جزائر هلك موافقة من هدايا ترد عليه فيها عبيد وعنبر وغير ذلك ومنكة الحبشة قناديه ولا تقطع ميرته ومواصلته ويتلوه في المكنة والمقدرة ابن طرف صاحب عثر ومنكة يشتمل على وجوه من الأموال وضروب من الجبايات ويكون الواصل إليها كصف الواصل إلى أبي الجيش من المال ويتلوه الخزامي صاحب حني وهو دون ابن طرف في المكنة والسلطان والجباية. وهؤلاء الثلاثة منوك قهامة الينن وابن طرف والخزامي جميعاً في طاعة ابن زياد في وقتنا هذا ويخطبون على اسمه.

ومنوك قهامة الينن المعروفون بمنوك الجبال كثيرة واجلهم ولد أسعد بن أبي يعفر وهو على الحجة هو ذلك صنعاء يخطب لأبي الجيش ويضرب دراهمه على اسمه وليس ينفذ إليه ميرة ولا هدية وجميع وجوه أمواله أربع مائة ألف دينار فتصرف في مروتته وإلى أعيافه وقاصديه وهو من سلالة التبابعة ومن بالجبال من ملوكها فجبايته دون هذه العدة من المال ومرافقه بقدر كفايته.

وأما الحسيني صاحب صعدة فلله جباية كثيرة ومستغلات من المدايع وضرائب من القوافل كثيرة تضاهي ارتفاع ابن طرف وربما زادت ونقصت وصاحب السرين فيما يصل إليه قوم به وبأهله ولميت بحال تذكر وله على المراكب الصاعدة والنازلة من الينن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد مع التجار.

إليك منوك اليمن في القرن الرابع وما كانوا يتقاضونه من وجوه الارتفاعات مما تستدل منه على ثروة اليمن الغريب واتساع أقاليمها ومخاليفها وكثرة قراها ومزارعها وقد وصف ابن حوقل أيضاً المسافات بين بلادها فقال: وأما تهامة فإنها قطعة من اليمن جبال مشبكة أولها مشرف على بحر القنزم (الأحمر) مما يلي غربيتها وشرقيها بناحية صعدة وجرش ونجران وشماليها حدود مكة وجنوبها من صنعاء على نحو عشر مراحل وبلاد حولان تشتمل على قرى ومزارع ومياه معصورة بأهلها وهي مفترشة وبها أصناف من قبائل اليمن ونجران وجرش مدينتان متقاربان في الكبر هما نخيل ويشتملان على أحياء من اليمن كثيرة وصعدة أكبر وأعظم منهما ويتخذ بها ما كان يتخذ بها ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير وأكثره من صعدة وبها كان يجمع التجار وليس باليمن جميعاً بل بندا أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء وهو بند في خط الاستواء وهو من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الإنسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً وتشارب ساعات الصيف والشتاء والجدام به ظاهر لقلة سطوة الشمس به وفيه كانت تسكن منوك اليمن فينا تقدم وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل كبير يعرف ببغدان وكان قصراً للملوك اليمن وليس باليمن بناء أرفع منه.

والمذيخرة جبل أعلاه نحو عشرين فرسخاً فيها مزارع ومياه وفيه ينبت الثورث وهو نبات

أحمر في معنى الزعفران يصع فيه ولا يسلك إلا من طريق واحدة. وشبام جبل منيع جداً فيه قرى ومزارع وسكان كثيرة وفيه جامع ويرتفع منه الجست والعقيق والجزع حجارة تعمل فإذا عملت ظهر جوهرها لأن وجوه هذه الحجارة مغطاة وبنغني أنها

تكون في صحاري فيها حصى منون تلتقط من بينها. وعدن مدينة صغيرة وشهرها لأنها
 فرضة على البحر يزلها الساترون في البحر وبالين مدن أكبر منها ليست كشهركها.
 وبلاد الإياضية بقرب حمدان وخولان وخيوان وهي أعبر بلاد بتلك النواحي مخالف
 ومزارع وأغزرها مياهاً. قال وبأرض سبأ من اليمن طوائف من حمير وبحضر موت أيضاً
 وأما ديار حمدان وأشعر وكندة وخولان فإنها مفترشة في أعراض اليمن وفي أصفافها
 مخالف وزروع وبها بوايد وقرى تشغل على قمامة وبعض نجد ونجد اليمن غير نجد
 الحجاز غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن وبين النجدتين وعدنان برية
 متصلة قال وبالين قروء كثيرة بلغني أنها تكثر حتى أنها لا تطاق إلا بجمع كثير وإذا
 اجتمعوا كان لهم كبير يعظونهم ويتبعونه كاليعسوب للنمل وبها دابة تسمى العدار
 بلغني أنها تطنب الإنسان فتقع عليه فإذا أصابت منه تلك الدابة جرحاً تدود جوف
 الإنسان فانشق ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا أستجيز حكايته لأن النكر لمن لا
 يعلم أعذر من المقر بما يجهل.

وذكر ياقوت أن المذبحرة قلعة حصينة في رأس جبل صبر وفيها عين في رأس الجبل يصير
 منها نهر يستقي عدة قرى باليمن وهي قرية من عدن يسكنها آل ذي مناخ وبها كان
 منزل أبي جعفر المناخي من حمير. قال عنارة اليمني: المذبحرة من أعمال صنعاء أن أعلاه
 نحو عشرين فرسخاً فيه المزارع والمياه ونبت الورث وفي شفيره الزعفران ولا يسلك إلا
 من طريق واحد وهو في مخالف السحول ولما منك الزيايدي اليمن واخط زبيد وحج
 من اليمن جعفر مولى زياد بمال وهدايا سنة ٢٠٥ وسار إلى العراق وصادف المأمون
 بها وعاد جعفر هذا سنة ٢٠٦ إلى زيد ومعه ألف فارس فيها مسودة خراسان سبعة
 فعظم أمر ابن زياد وتقلد إقليم اليمن بأسره الجبال والتهاتم وتقلد جعفر هذا الجبل

واختط به مدينة يقال لها المنحجرة ذات اقدار ورياض واسعة والبلاد التي كانت لجعفر تسمى اليوم (القرن السادس) مخلاف جعفر والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع وكان جعفر هذا من الدهاة الكفاة وبه تمت دولة بني زياد ولذلك يقولون ابن زياد وجعفر.

وذكر ياقوت في شام أنه جبل عظيم فيه شجر وعيون وشرب صنعاء منه وبينه يوم وليلة وهو جبل صعب المرتقى ليس إليه إلا طريق واحد وفيه غيران وكهوف عظيمة جداً ويسكنه ولد يعفر ونه فيه حصون عجيبة هائلة وذروته واسعة فيها ضياع كثيرة وكروم ونخيل والطريق إلى تلك الضياع على دار الملك وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك فمن أراد التزول إلى السهل في حاجه دخل على الملك فأعلمه ذلك فيأمر بفتح الباب وحول الضياع والكروم جبال شاهقة لا مسكن فيها ولا يعلم أحد ما ورائها ومياه هذا الجبل تصب إلى سد هناك فإذا امتلأ السد ما أن فتح فيجري إلى صنعاء ومخالفها وبينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ. قال عمارة اليمني في تاريخه وكان حسين ابن أبي سلامة وهو عبد نوبي وزرلابي الحيشي بن زياد صاحب اليمن أنشأ الجوامع الكبار والمنائر الطوال من حضر موت إلى مكة وطول المسافة التي بني فيها ستون يوماً وحفر الآبار الروية والقلب العادية فأولها شام وتريم مدينة حضر موت واتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة منها جامع ومشدنة وبئر ويقي مستولياً على اليمن ثلاثين سنة ومات سنة ٤٣٢ وذكر له فضائل وجوامع في كل بلدة من اليمن.

وذكر أبو القدا من بلاد اليمن حصن تعز فقال هي في زماننا مقر ملوك اليمن وهي حصن في الجبال مطل على التهائم وأراضي زبيد وفوق تعز منتره يقال له صهنة قد

ساق صاحب اليمن المياه من الجبال التي فوقها وبني فيها أبنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان هناك. وذكر حصن الدمنوة وقال أنها خزانة صاحب اليمن قال ابن سعيد وهي على الجبل المتد من الجنوب إلى الشمال ويضرب بامتناعها وحصانتها المثل في شمالها تقع الجوة وهي بنيدة مشهورة في جادة طريق الجبال وذكر الشرجة وجبنة وهذه بين عدن وصنعاء والجند شمالي تعز وذمار وحلى وظفار ونجران وعدن أبين وصنعاء وصعدة وبلاد خيوان وجرش (غير جرش سورية) ومأرب يقال لها سبأ وشبام وقبة حضر موت ومرباط.

وفي أحسن التقاسيم أن ولايات هذا الإقليم متقطعة فاليمن لآل زياد وأصلهم من هندوان وابن طرف لع عشر وعلى صنعاء أمير غير أن ابن زياد يحمل إليه الأموال ليخطب إليه وربما أخرجت عدن عن أيديهم وآل قحطان في الجبال وهم أقدم منوك اليمن والعنوية على صعدة يخطبون لآل زياد وهم أعدل الناس وعمان للديلم وهجر للقرامطة وعلى الأحقاف أمير منهم قال وصاحب صعدة لا يأخذ ضريبة من أحد وإنما يأخذ ربع العشر من التجار.

في القرن السادس كان صاحب اليمن المنك المجاهد سيف الدين عني ابن المنك المؤيد هزير الدين داوود من بيت رسول وكان جد هم هذا رسول أميراً آخر للمنك الكامل ناصر الدين محمد عادل أبي بكر بن أيوب فلما بعث المنك الكامل ولده المسعود أظسن وهو الذي تسميه العامة أقيس بعث معه أميراً آخر في جبهة من بعوثه معه ثم تغلبت الأحوال حتى استقل رسول بمنك اليمن وصار المنك من عقبه.

عجائب اليمن

ذكر الهنداني منها باب عدن وهو شصر مقطوع في جبل كان محيطاً بموضع عدن من الساحل فلم يكن لها طريق إلى البر إلا للمرجل لمن ركب ظهر الجبل فقطع في الجبل باب مبنع عرض الجبل حتى سنكه الدواب والحمايل والحامل والجفان. وقطع بينون جبل قطعه بعض ملوك حمير حتى خرج فيه سيلان وراءه إلى أرض بينون. وقلعة الجوة لأبي المغنس في أرض المعافر هي تطلع بسلم فإذا قنع لم تطلع. ومنها جبل تخنى وهو جبل واسع الرأس ذو عرقة مطيفة به تنزل الوبر والقرد وتحت العرقة عرقة وفي مواضع منه عرق مترادفة وليس تعم جميعه إلا العرقة العليا والتي تحتها ورأسه واسع جداً فيه ثلاث قلاع حصون فأولها بيت فائس وهو من أرفع ما فيه وفيها مسجد قائم كان الناس يزورونه والمذمار مثلها في الرفعة وبيت ريب حصن ذو عرق منقطعة عندها قصور آل المنصور وحرهم وأموالهم لا مثلها غير باب واحد والأراس حصن بينها وبين بيت فائس وهو حصن واسع وبعد أن ذكر أبوابها قال وتغلق هذه الأبواب على هذه الحصون وهذه الحصون وهذه القرى على ضياع تؤدي خمسة آلاف ذهب براً وشعيراً ليكون سبعة آلاف وخمسمائة ففيز وتغلق على ميدانه وأنوباته ومجزرته ومساجده ومراعيه وأغنامه وبقره وخيله ما خلا الإبل فإنها لا تطلع وفي معظم حصونها زروع أعقار فيها ماؤها ومرعاهما وجميع مرافقها ومدينة خولان العظى صعدة وهي بند الدباغ في الجاهلية الجهلاء وهي في موطن بند القرظ ربما وقع فيها القرظ من ألف رطل إلى خمسمائة بدينار مطوق على وزن الدجرهم القفلة وأما ظاهر خولان فهو أسل وفيه قرى زروع واعناب دافقين وجبل أبذر وأبذر مثل جبل ذخار من الجبال التي في رؤوسها الماء والمرعى والزرع والقرى.

ويشتد في صنعاء البرد لا يتحول الإنسان الشتاء والصيف من مكانه فإذا اشتد بها الصيف وحر فدخل الرجل يقبل على فراشه لم يكن له بد من أن يتدثر لأن بيوتها في الصيف باردة لأجل قصة الجير المسيع بها بواطن البيوت فيدخل في المخدع على فراشه ويطبق عليه الباب ويسبل السترين والسجف فلا يتغير ضياء البيت لأجل الرخام الذي يكون في الجدران والسقف بل إذا كان في السقف رخامة صافية نظر عوم الطائر بظله عليها إذا حاذها وتؤدي الرخامة لمعان الشمس إلى القصة فتقبلها بجوهرها وبريقها. وأعشاب اليمن وحبوبها غريبة في بابها ومنها الورث والنبان اللذان لا يكونان في غير اليمن ويصيران في جميع الأرض.

ومن الأبار العجيبة البئر المطلة بريدة ومنها بئر سراقفة لمراد في أسفل الجوف وطولها خمسون باعاً وماؤها عذب فوات لا يكدرها الدلاء وبئر سام بن نوح بصنعاء وكهالة بئر ذي يزن بين زبيد وعدن وبئر هوت بسفل حضر موت وبئر مينون المذكورة في القرآن. أما معادن الفضة بالرضراض فما لا نظير له وبها معادن الحديد غير معنولة مثل نغم وغمدان وبها فصوص البقران ويبلغ الثلث بها مالاً وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود والبقران ألوان ومعدنه بجبل أنس وهو ينسب بن الهان بن مالك والسعواني من سعوان وإد إلى جنب صنعاء وهو فص أسود فيه عرق أبيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد إلى جنب هنوم وغلينة والجنش من شرف همدان والعشاري وهو الحجر السناوي من عشار بالقرب من صنعاء والبنور يوجد في مواضع منها والمسنى الذي يعمل منه نصب السكاكين يوجد في مواضع منها والعقيق الأحمر والعقيق الأصفر العتيقان من الهان وبها الجزع الموشى والمسير وفي مواضع منها منه النقي وهو فحل العرف والسعواني والظهري منه أجنس والخولاني والجودي من

غديقة والشرب يعمل منه الواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداخن وقحفة وغير ذلك وليس سواه إلا في بلد الهند والهندي عرق واحد. ومحافظ اليمن وقصورها القديمة التي ذكرها العرب في الشعر والمثل كثيرة فأولها وأقدمها غندان ثم تلغم وناعط وصروح وسحين بمأرب وظفار وهكر وظهر وشباء وغيمان وبيون وريام وبراقش ومعين وروثان وأرياب وهند وهنيدة وعبران والنجير بحضرموت.

وغندان قصر عجيب قد بني ثلاثة أوجه ووجه بالجروب الأبيض ووجه بالجروب الأصفر ووجه بالجروب الأحمر ووجه بالجروب الأخضر والجروب الحجارة وابني في داخله على ما التقن من أساسه قصرًا على سبعة مقوف بين كل مقفين أربعون ذراعًا وسقفه من رخامة واحدة وجعل على ركن تمثال أسد من شبه كعظم ما يون من الأسد فكانت الريح إذا هبت من ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت جوفه من دبره ثم خرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير الأسد وكان يأمر بالمصايح فصر في بيوت الرخام إلى الصبح فكان القصر ينبع من ظاهره كنوع البرق فإذا أشرف الإنسان ليلاً قال أرى بصنعاء برقًا شديدًا أو مرًا كثيرًا ولا يعلم أن ذلك من ضوء السرج فكان كذلك حتى أحرق.

قال ياقوت أن غندان كان حصن كان يؤوله الملك الذي يكون على اليمن وكان أعجيباً فلما منكت الحبشة اليمن أخربته إلا بقايا هدمها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في الإسلام وقال ينبغي لمآثر الجاهلية أن تمحى وأن في الحصن مصنعة عليها قبة منطلق. وفيها يقول خنف الأحمر

ومصنعة الطلق أودى بها ... عوادي الأحاديث بالصيدين

وفيها يقول قدامة حكيم المشرق وكان صاحب كياء

فارقدها نارة ولو أنها ... أقامت كعبر الدهر لم تنضم

لأن الطلق لو أوقد عليه ألف عام لم يسخن وبه يتطنى النفاطون إذا أرادوا الدخول في النار.

وبني أبرهة بن الصباح بصنعاء القينسة وهي كنيسة بناها لصاحب الحبشة لم ير الناس أحسن منها ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفيحاء وألوان الأصباغ وعنوف الجواهر وجعل خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ولكنها بأنواع الأصباغ وجعل لخارج القبة برنساً فإذا أن يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلاها رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تلم البصر وسماها القينس (بضم القاف وتشديد اللام).

ون قصور اليمن قصر شوحطان وقصر كوكبان وأكثرها من عجيب البناء وقيل أن هذا القصر الأخير كان مبنياً بالفضة والحجارة وداخله بالياقوت والجواهر.

ومن أعظم عجائب اليمن السد الذي كان باليمن عني مثال سد أسوان في مصر اليوم ومأرب كما قال المهيني أمم قصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان يني سباً كما أن تبعاً اسم لكل من ولي اليمن والشعر وحضرموت وهذا السد عني ما قال المسعودي من بناء سباً بن يشجب بن يعرب وكان سافده سبي وادياً ومات قبل أن يستمه فأتمته منوك حمير بعده وقال المسعودي أيضاً بأن بانيه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين شعباً. ومأرب بين حضرموت وصنعاء وبينها وبين صنعاء أربعة أيام وهي قرية ليس بها عامر في القرن السابع إلا ثلاث قرى يقال لا الدروب إلى قبيلة من اليمن فالأول من ناحية صنعاء درب آل الغشيب ثم درب كهلان ثم درب الحرمة وكل واحد من هذه الدروب كاسمه درب طويل لا عرض منه طوله

حو الميل كل دار إلى جانب الأخرى طولاً وبين كل درب نحو فرسخين أو ثلاثة وهم يزرعون على ماء جار يجيء من ناحية المد فيسقون أرضهم سقية واحدة فيزرعون عليه ثلاث مرات وفي كل عام ويكون بين بزر الشعير وحصاده في ذلك الموضع نحو شهرين. وسد مأرب بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل إلى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحدة فكان الأوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما يجتمع من ماء السيول فيصير خنف السد كالبحر فكانوا إذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا ذلك السد بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحر كات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يمدونه إذا أرادوا. قال ابن حوقل ومجتمع الماء الذي بأرض اليمن في ديار سبأ إنما كان موضع مسيل ماء فبني على وجهه سد فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى والمزارع حتى كفروا النعمة بعد أن كان الله تعالى قد جعل لهم عنارات قرى متصلة إلى الشام فسقط على ذلك المكان آفة فكان لا يحسك ماء وهو قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها إلى قوله ومزقناهم كل ممزق فبطل ذلك الماء إلى يومنا هذا.

أما سيل العرم الوارد ذكره في الكتاب العزيز بقوله فأرسلنا عليهم سيل العرم فإنه كان على رواية في أيام منك حبشان فأخرب الأمكنة المعنورة في أرض اليمن وكان أكثر ما أخرب بلاد كهلان وعامة بلاد حمير وولد حمير وكهلان هم سادة اليمن في ذلك الوقت خربها حتى لم يبق من جميع الأرضين والكروم إلا ما كان في رؤوس الجبال والأمكنة البعيدة مثل ذمار وحضرموت وعدن ودهيت الضياع والحدائق والجنان والقصور والدور وجاء السيل بالرمل وطبها على ذلك إلى القرن السابع.

ومعنى العرم (بفتح أوله وكسر ثانيه) لكر والمناة التي تسد فيها المياه وتقطع وهي
تلك المناة التي كانت قد أحكت لتكون حاجزاً بين ضياعهم وحدائقهم وبين السيل.
وقيل العرم الماء الأحمر واسم واد بعينه أو اسم للجرذ الذي نقب الكر عندهم هو
الذي يقال له الخند وقيل العرم المطر الشديد قال المتنم بن قرط البنوي
ألم تر أن الحي كانوا بغطاة ... بمأرب إذ كانوا يحنوها معا

وقال الأعشى

ففي ذاك لنؤتسي أسوة ... ومأرب عفا عنها العرم
رخام بنته لهم حمير ... إذا ما نأى مأوهم لم يرم
فأرى الحروث بأغنامها ... عنى ساعة مأوهم إن قسم
وطار الفيول وفيالهم ... بيهضاء فيها سراب لم ينم
فكانوا بذلكم حقبة ... فمال بهم جارف منهدم

وقال جهم بن خنفة:

ولم تدفع الإحسان عن رب مأرب ... منته وما حواليه من قصر
ترق إليهم تارة بعد هجعة ... بأمراس كتان أمرات عنى شزر

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

يا ديار الحيات ... بين صنعا ومأرب=جاءك السعد غدوة=والثريا بصائب
من حريم كأنها ... يرقمى بالقواضب=في اصطفاق ورنة=واعتدال المواكب

هل تسترد اللغة العربية أمجادها

(تصمة ما في الجزء الأول)

فضة العرب في الإسلام

لندع جزيرة العرب الآن إلى ثلث القرن السابع الميلادي لميلاد المسيح ثم لنعد إليها بعد ذلكم ولنحدث عما نرى أمة متفقة الكلمة مجتمعة الرأي متحدة اللغة والدين قد قوي اجتماعها واشتد أسرهم حتى صار كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وقد كفوا سيوفهم عن أنفسهم وشهروها في وجوه عدوهم من الفرس والروم فطردوا كسرى من المدائن وأجلوا قيصر عن الشام.

سنوفي أين ذهب ما كانت توصف به الأمة من تفرق الكنة وتشعب الرأي ومن تعدد الدين وتنوع النهجات. ؟.

أين شريعة موسى وتعليم عيسى. ؟.

أين الوثنية وعقائد الصابئة وأنجوس. ؟.

أين حمية الجاهلية وعصيتها. ؟.

أين تنكم الضغائن التي كانت تثير الحفاظ وتأكل القلوب. ؟.

كل ذلكم قد ذهب به الإسلام أيها السادة فلم يبق له في الجزيرة العربية أثراً ولست أريد أن أبحث عن مصدر ذلكم لأني إنما أحاضر في تاريخ اللغة لا في تاريخ الشعب.

القرآن

كان القرآن للعرب شمساً نسخت عنهم ظل الجاهلية وأضاءت منهم ظلمة النفوس ونقبت اجتماعهم من حال إلى حال فقد جاءهم بضروب من القول لم يعهدوها وفنون من الكلام لم يعرفوها مشتملة على أمتن قواعد الاجتماع وأصح أصول التشريع محتنة بنافع الحكم ونايغ الكتم وجيد الوصف والتشبيه وصادق القصص والتاريخ وقد أنكروه إذ سمعوا بادئة الأمر ولكنهم لم يلبثوا أن خضعوا له وأذعنوا لسلطانه طوعاً أو كرهاً بعد أن بهرهم جماله وسحرهم روعته وأصبحت قلوبهم حكته وهذبت نفوسهم

آدابه وظهر لهم الحق من ثيابه جميل الصورة وطلق اخيا يفتق رواؤه القنوب ويخنب الألباب ولست أريد أن أطيل في وصف القرآن لأن ذلك يحتاج إلى محاضرة خاصة وغنى أقول أنه قد غير العرب تغييراً تاماً فلم يات عليه خمس وعشرون سنة إلا وقد ألان من القوم قلوباً قاسية وصفى طباعاً جافية وأرق كباداً غليظة وهذا ألفاظاً فجة ونقل الأمة من البداوة إلى الحضارة ومكن لا في الأرض وهيأها لفتح والغلب على الجملة أنشأ من العرب خلقاً جديداً.

هنالك خضعت اللغة لمؤثرين كبيرين أحدهما الإسلام والثاني الفتح.

فأما الإسلام فقد صنع بالقوم ما عرفتم فحنت لغتهم وورقت ألفاظهم وظهرت عندها بشاشة الدين وطهارة النفوس.

وأما الفتح فقد استأثر عواطف القوم بعد كبرها وأطلق ألسنتهم بالخطب الرائعة والشعر الجليل نصراً للحق وزوداً عنه.

مذهب باطل

وهنا يجب علي أيها السادة أن أبطل مذهباً اجمع عليه كافة المؤلفين في آداب اللغة من احدثين يتبعون فيه رأي المؤرخ ابن خلدون رحمه الله.

زعموا أن الآداب العربية ولا سيما الشعر قد وقفت أيام النبي والخلفاء الراشدين لأن العرب قد شغلوا عنها بالدين والفتح وتأسيس الملك فلما استقر الأمر لبني أمية تهضمت الآداب من كبرها واستيقظت من غفوتها إلى آخر ما يقولون.

خطأ جداً هذا المذهب أيها السادة لأنه لا يستند على حجة ولا يعتمد على دليل.

نعم إنهم لم يجدوا على ذلكم برهاناً إلا شيئين اثنين الأول أن لبيد بن ربيعة وهو من فحول الشعراء المخضرمين قد ترك الشعر في الإسلام اعتداداً بالقرآن واحتفالاً به وقد

بعث عمر بن الخطاب إلى عامره عني الكوفة استشد من قبلك من الشعراء وابعث إلي
 بشعرهم فدعا العامل لبيداً وأبا النجم وأبلغهما أمر عمر فأما أبو النجم فقال
 أرجزاً تريد أم قصيدة ... طلبت شيئاً عندنا موجوداً
 وأما لبيد فقد رجع إلى بيته ثم غدا عني الأمير بنوح قد كتب فيه سورة البقرة وقال
 هذا شعري.

الثاني أن محمد بن سلام وهو من عتاء القرن الثالث للهجرة قال في كتابه طبقات
 الشعراء أن العرب في صدر الإسلام قد شغلوا بتأسيس المنك عن قول الشعر وروايته.
 والحقيقة أيها السادة أن ترك لبيد للشعر لا ينهض حجة عني العرب كافة قد تركوه أو
 قصرُوا فيه وإن ابن سلام رحمه الله قد أخطأ في الأولى وأصاب في الثانية فإن العرب قد
 شغلوا عن رواية شعر الجاهلية في أيام الفتح والفتن ولكنهم لم يشغلوا عن قوله يوماً ما
 ولذلك ضاع كثير من شعر الجاهليين بل من شعر المخضرمين لكثرة من استشهد من
 الرواة في أيام الردة والفتح وأيام الفتن السياسية الكبرى.

وإذا كان أبو بكر رضي الله عنه قد أشفق عني القرآن الكريم أن يضع بعد أن قتل من
 المسلمين خلق كثير في حروب الردة فكيف يكون حال الشعر ؟
 وكيف يشغل العرب عن قول الشعر والنبي صلى الله عليه وسلم كان يسعه ويدعو
 إليه ويأمر شعراءه أن يدفعوا عنه بقصائدهم وأشعارهم والخلفاء الراشدون كانوا
 يكثرُونَ استشهاده والبحث عنهم والقول فيه بل كيف يشغلون عن قول الشعر
 ومصادره الحقيقية قد كانت كثيرة موفرة فإن صدر الإسلام لم يخل من حروب يشد
 فيها الشعراء قصائد المدح للقواد التصريخ والثناء للثغاة المستعدين وتحريض
 الأولياء وهجاء العداء والفخر بحسن البلاء ولو أن هؤلاء المؤلفين قرأوا التاريخ في كبد

المطولة المبسطة واستظهروا ما تشتمل عليه سيرة النبي وتاريخ الخلفاء من مآثر
القصاصد وحياد الأراجيز في فنون الشعر المختلفة ما استطاعوا أن يسجلوا غنى أنفسهم
هذا القول ولا أن يصنوا القرآن الكريم بأنه قد كان سبباً لالمخطاط الآداب العربية يوماً
ما.

الخطابة

كان شأن الخطابة في صدر الإسلام أرقى بكثير من شأنها في الجاهلية لأنها كانت صناعة
الخلفاء والأمراء وحرفة الجيش والذادة عن الشغور فقد سن النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين صلاة الجماعة وجعلها من حق الخليفة يقيمها في حاضرة الدولة ويستخلف
عليها الأمراء في الولايات فكان يجب على الخليفة والأمراء أن يخطبوا المسلمين يوم
الجمعة من كل أسبوع ولم تكن هذه الخطبة مقصورة على الوعظ والدين كما هي الآن
بل كانت تتناولها وتتناول الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكان اجتماع
المسلمين في مساجدهم يوم الجمعة أشبه شيء باجتماع المجالس النيابية الآن إلا أن
مجامعهم كان يرأسها الخليفة المسئول أمام الصغير والكبير ولم يكن يكره الخليفة أن
يقوم له الرجل من أطراف المسجد فيرد رأيه أو ينافس خطبته بل كان ذلك لهم مصدر
سرور وإعجاب.

وكما أنكم ترون الآن وزارات المم الراقية لا تستطيع أن تنهض بعينها إلا بعد أن
تعرض خطتها السياسية على مجلس النواب كذلك كان الخلفاء الراشدون لا يستطيع
أحدهم أن ينهض بأعباء الخلافة حتى يجمع المسلمين ويخطبهم خطبة بين فيها غودجاً
لسياسته التي سبغها في أيام خلافته على أن حادثاً كبيراً قد حدث للعرب فآثر في

أخلاقهم وآداب لغتهم ولاسيما الشعر والخطابة وهذا الحادث هو الفتنة التي ابتدأت بقتل عثمان ولم تنته آثارها إلى الآن.

منشأ الفتن الإسلامية

منشأ الفتن الإسلامية أيها السادة شيء واحد هو النزاع بين الملكية والجمهورية وقد بدئ هذا النزاع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكان بنو هاشم يرون الملكية الشورية ويعلمون أنهم أحق الناس بوراثته الملك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولسان هذا الحزب علي والعباس وكان أبو بكر وعمر وعامة الصحابة يرون الجمهورية على أن تنحصر في قريش لأن القرآن لم يحن بوراثته الملك ولأن النبي قد قال الأئمة من قريش وقد انتصر هذا الحزب على جماعة الأنصار الذين كانوا يريدون أن يكون منهم أمير كما انتصر على بني هاشم أيضاً فبويع لأبي بكر وعمر ومن بعده لم يتخلف عن البيعة بنو هاشم لأنهم كانوا يرجون أن يؤول الأمر إليهم بعد موت هذين الرجلين ولما وضع عمر قاعدة الشورى بويع عثمان وجد بنو هاشم في أنفسهم وبايعوا مكرهين لأن بني أمية وهم رهط عثمان كانوا أكثر قريش عصبية وأشدّها قوة وكان يخشى منهم أن ينهضوا فيشتوا الملك لأنفسهم بالسيف ولذلك لم تمض على بيعة عثمان أعوام حتى تارت أطراف الدولة على الولاة وكثر الطعن في الخليفة والنعي عليه ثم أقبنت وفود العراق ومصر إلى المدينة وقد اضربوا الشر واستشعروه فحاصروا دار عثمان ولم يتركوها حتى قتلوه وبايعوا علياً وكان هذا أول عهد الإسلام بالفتنة ولما قتل عثمان وبويع علي خرج عليه طلحة والزبير وعائشة يطالبون بدم عثمان فكانت بينه وبينهم موقعة الجمل ولم تكد تمخض هذه الثورة حتى خرج عليه معاوية وأهل الشام يخنعونه ويطنبون قتلة عثمان ويردون الأمر شورى بين المنين فكانت بينه وبينهم مواقع